

## منهج ابن كثير في التفسير وموقفه من الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء وموقفه من الحديث المرفوع والآثار الواردة فيه

اعداد: د. تهاني نور الهادي محمد عبد المعبود

جامعة الملك خالد

كلية العلوم والآداب بمحايل عسير

الايمل: tmohnad@kku.edu.sa

### مستخلص البحث

قيض الله تعالى لكتابه العزيز علماء أتقياء سهروا على خدمة القرآن الكريم ، وبذلوا قصارى جهدهم لتوضيح معانيه وبيان أسراره ، وكشف دقائقه واستخراج ما في من حكم وأسرار ، وهذا ينسجم مع مكانة القرآن الكريم السامية ، فهو كتاب هداية وإعجاز أنزله الله للناس كافة إلى يوم الدين ، لذلك تكفل الله بحفظه دون سائر الكتب السماوية لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)<sup>(1)</sup> ، وقد تلقت الأمة هذا الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عن صحابته بالحفظ والتلاوة والتعليم والعمل ، وفي كل عصر يستنبط العلماء منه ما يجدون به ضالتهم لحل المشكلات وإيجاد الحلول للقضايا المستجدة ومن هؤلاء العلماء الحافظ المفسر بن كثير في تفسيره المشهور (تفسير القرآن العظيم ) العلماء ليجتهدوا في استنباط الأحكام والأسرار والحلول من القرآن الكريم ، كل بحسب جهده وطاقته ، ولو تتبعنا كتب التفسير لوجدنا لتفسير ابن كثير منهجية خاصة تتمثل في الآتي:

• تفسير يجمع بين الدراية والرواية.

• تفسير القرآن بالقرآن.

• تفسير القرآن بالأحاديث الصحيحة والحكم على الأسانيد تعديلاً وجرحاً

ذكر آثار الصحابة، لأنهم شاهدوا أحوال وقرائن التنزيل وإن ذكر بعض الإسرائيليات فإنه يظهر ما في بعضها من زيف وبطلان

الكلمة المفتاحية: التفسير - الشرك - القرآن - استنباط.

(1) سورة الحجر الآية 9

### Abstract

God Almighty has swapped for his dear book, pious scholars who worked in the service of the Holy Qur'an, and did their best to clarify its meanings and clarify its secrets, reveal its minutes and extract what is in the rule and secrets, and this is consistent with the noble status of the Holy Qur'an, it is a book of guidance and miracle that God has revealed to all people until the Day of Judgment, Therefore, God ensured his preservation without the rest of the heavenly books of the Almighty saying: (We have revealed the remembrance and we have it to the keepers) (), and the nation received this book from the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and then from his companions to memorize, recite, teach, and work, and in every age scholars draw from it They find their way to solve problems and find solutions to justice O emerging ones, and among these scholars, Al-Hafiz Al-Mufassir Bin Katheer in his famous interpretation (the interpretation of the great Qur'an) scholars to strive to derive rulings, secrets and solutions from the Holy Qur'an, each according to his effort and energy, and if we follow the books of the interpretation, we will find for Ibn Kathir's interpretation a special methodology represented in the following:

- An interpretation that combines know-how and narration.
- Interpretation of the Qur'an in the Qur'an.
- Interpretation of the Qur'an with the authentic hadiths and the ruling on the chain of Quran as an amendment

He mentioned the effects of the companions, because they saw the conditions and evidence of the download, and if he mentioned some Israeli women, it shows the falsehood and falsehood in some of them.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:  
فالإسرائيليات جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب، والمراد بالإسرائيليات:  
الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل في التوراة وشروحها، والأسفار والتلمود وشروحه، وفيها أساطير وأباطيل وكذب  
كثير، وقد وضح الحافظ ابن كثير - موقفه من الإسرائيليات في مقدمة تفسيره، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام:  
أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما  
تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا،  
ويأتي عن المفسرين خلافًا بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل:

أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحيها الله  
لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك  
مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم<sup>(١)</sup> وقال في  
مقدمة "البداية والنهاية": "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة  
رسوله، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا. فنذكره على سبيل التحلي به لا على  
سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه"<sup>(٢)</sup>. وعرف عن الحافظ ابن كثير - الإعراض عن ذكر كثير من الأخبار  
الإسرائيلية في تفسيره، وفي مواضع أخرى ينتقد بعض الأخبار الإسرائيلية بقوة، ويتعقب من أوردها من المفسرين،  
ومن ذلك قوله - عند تفسر قوله تعالى في سورة الكهف "وَأَذِّنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ  
مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا"<sup>(٣)</sup>. - بعد أن  
ذكر أقوالا في "إبليس" واسمه ومن أي قبيل هو؟! -: "وقد رويت في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من  
الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه، لمخالفته للحق الذي  
بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان،  
وقد وُضِعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين،  
كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأثقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد، الذين  
دَوَّنوا الحديث وحزروه، وبيَّنوا صحته من حسنه من ضعفه، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا  
الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانةً للجناب النبوي والمقام  
المحمدي، خاتم الرسل وسيد البشر، أن يُنسب إليه كذب أو يُحدَّث عنه بما ليس منه، ف وأرضاهم، وجعل  
جَنَاتِ الفردوس مأواهم. وقد فعل"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٧

(٣) سورة الكهف الآية (٥٠)

(٤) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ١٦٨

وإذا كان الحافظ ابن كثير — ذكر بعض الأخبار الإسرائيلية في تفسيره، حيث تبع من سبقه من المفسرين، فإنه — كما تقدم— ينبه عليها، وينتقدها ويبين أنه لا فائدة فيها، ولا شك أن الأولى الإعراض عن ذكرها في تفسير كلام الله، وإن كان بعضها مما لا يصدق ولا يكذب، قال العلامة أحمد شاكر --: "إن إباحت التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه— شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو روايةً في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها— شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي نعرف صدقه ولا كذبه مُبينٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومفصلٌ لما أجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله — صلى الله عليه وسلم— إذ أذن بالتحدث عنهم—أرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأبي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير والبيان؟!".

خطة البحث:

التمهيد: المولد والنشأة والحالة العلمية والفكرية والاجتماعية.

الفصل الأول: منهج ابن كثير في التفسير.

الفصل الثاني: موقفه من الإسرائيليات.

الفصل الثالث: نسبة الشرك إلى آدم وحواء.

الفصل الرابع: الحديث المرفوع والآثار الواردة في هذا.

الفصل الخامس: أثر الفقه في منهج ابن كثير.

الفصل السادس: تفسيره للقرآن باللغة.

الفصل السابع: مناقشاته الفقهية.

الفصل الثامن: مقاييس ابن كثير في نقد المتن.

الفصل التاسع: أهم مميزات تفسير ابن كثير.

تمهيد:

المولد والنشأة والحالة العلمية والفكرية والاجتماعية

ابن كثير هو: إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع<sup>(١)</sup> القيسي البصري ثم الشافعي<sup>(٢)</sup>. اتفق المؤرخون على ذكر اسمه واسم أبيه وجده الأول واكتفى بذكر هذا الاختصار، بعض المصادر وردت التكملة مع اختلاف في الروايات في جود الأعلى أو الاقتصار على بعضهم في مصادر أخرى<sup>(٣)</sup>. ولد ابن كثير في (مجيدل) القرية وتوفى والده وهو في الثالثة من عمره كما ذكر ذلك في كتابه البداية والنهاية فرعا أخوه عبد الوهاب. وكانت أسرته علمية دينية فولده فقيه وخطيب، وأخوه عالم وفقه، وأولاده وأولاد أخوته كذلك، وتزوج ابنة شيخ المزي وأنجب منها أولاداً علماء<sup>(٤)</sup> نشأ ابن كثير في قريته ثم انتقل مع أخيه إلى دمشق، وتفرغ لطلب العلم فحفظ القرآن الكريم من صغر، ودرس الفقه وأصوله، وعلم الحديث واللغة العربية عن علماء دمشق وبرز في الفقه والحديث والتفسير والنحو وأخذ هذه العلوم عن مشايخ دمشق الأجلاء وغيرهم من البلدان الإسلامية. ذكر معظمهم في كتابه البداية والنهاية وترجم لهم.

لازم شيخه أعزب، وصاهره وتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية وأحبه حتى دفن بجواره، وأجاز بالرواية بعض علماء مصر وبغداد<sup>(٥)</sup>. كان المجتمع في عصره يتألف من عناصر بشرية مختلفة منهم العرب والقبط والرومان والأتراك والجركس والأرمن وغيرهم وغالب السكان من المسلمين بينهم أقليات مسيحية ويهودية وكل هؤلاء ينضمون في اعتبار العصر تحت فئات متعددة، نشأ ابن كثير في مجتمع مكون من فئات: فئة تملك كل شيء، وأخرى معدومة لا تملك شيئاً، وفئة تتملق وأخرى تتقرب، مثل هذه التيارات المتضاربة تجعل من يتصدى لها هدفاً للنيل منه ولذلك فهي تبني إنساناً جلدًا صابراً لا يخشى في الله لومة لائم كما كان شيخنا الحافظ بن كثير. وانتشرت هذه المدارس في كثير من البلدان كالقاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وحمص والقدس، إضافة إلى المساجد والجوامع التي تقام فيها حلقات العلم ويفد إليها الطلاب من جميع الجهات ومن أهمها جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر وجامع ابن طولون بمصر والجامع الأموي في دمشق<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكر في بعض المصادر (درع).

أ/ طبقات المفسرين . محمد علي الداودي ت: ٩٤٥هـ . محمد علي عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٩٧٢م.

ب/ أبناء الغمر بأبناء العمر . لابن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، إصدار المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية القاهرة ١٩٦٩م. وجاء في مصادر أخرى (زرع)،

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي ت: ١٠٨٩هـ طبعة القدس/ القاهرة ١٣٥٠هـ ج ٢٣١/٦.

ج/ وجاء في مصادر أخرى (زرع) طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شبرا، دار الندوة، بيروت ١٩٨٧ ج ٣ (ص-٢٣٧).

(٢) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ج ١ (ص ٢٤٢) دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦١م.

(٣) الحافظ بن كثير دمشقي من أعلام المسلمين (ص ٤٨).

(٤) الدرر الكامنة ٣٩٩/١، شذرات الذهب ٢٣١/٦، وابن كثير دمشقي (ص ٥٢)

(٥) ابن كثير دمشقي (ص ٥٥) الدرر الكامنة ٢٨٢/٣، طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين بن قاضي شبيهة دمشقي، ت: ٨٥١هـ د.

تصحيح د. عبد العظيم خان، نشر مؤسسة دار الندوة، بيروت ١٩٩٨م، ٢/٢٣٧.

(٦) أنظر السلاطين المماليك ج ٣/٩٥ . مكتبة الآداب القاهرة ١٩٧٤م. مقدمة تهذيب الكامل ١٢/١١/١ للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف.

وكانت تدرس في هذه المساجد والمدارس أنواع المعرفة المختلفة العقلية والشرعية ولكن الاهتمام كان منصباً على العلوم الدينية والعربية كالتفسير والحديث والفقہ بمذاهبه الأربعة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها. بالإضافة إلى ما سبق، يجب ألا ننسى أن العلماء في مصر والشام قد أحصوا بالنكبات القاصمة والويلات العظيمة والخراب الكامل بالمسلمين في القرن السابع والثامن، سواء كان في بغداد شرقاً أو الشام ومصر في الوسط أو الأندلس والمغرب غرباً، فهزمت الجيوش الإسلامية وألغيت الخلافة العباسية في بغداد وشرد الناس وأبيحت أعراضهم وسلبت أموالهم وأحرقت مكنباتهم وكادت شعلة العلم أن تنطفئ وتطفئ وجذوة الإيمان أن تخبوا<sup>(١)</sup>، "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون". رحل العلماء عن أوطانهم واتجهوا صوب مصر والشام، وتجمع علماء المشرق والمغرب في القاهرة ودمشق وشمروا عن ساعد الجد والنشاط فأحبوا العلوم ودونوا الكتب وصنفوا الموسوعات، وعوضوا كثيراً مما فقد، وأصبحت بلاد الشام خاصة من أعظم مراكز القوى العلمية في العالم الإسلامي حينذاك، وعاشت دمشق تشهد عز الإسلام على المغول والصليبيين وتنظيف السواحل منهم فنشطت الحركة العلمية وقام العلماء في العهد المملوكي. "لهذا كله نراهم قد استجابوا لذلك النداء في أرجاء الضمائر الإسلامية داعياً إلى تعويض الإسلام وتاريخه عما فقد من ذخائر في بغداد بالتتار، وفي الشام بالصليبيين وفي الأندلس بالفرنجة"<sup>(٢)</sup>. يقول الشيخ عبد الله مصطفى مراغي عن الحالة العلمية في القرن الثامن الهجري (إذا كانت حركة التأليف والتدريس وبناء المدارس العلمية قد نشطت في هذا العصر نشاطاً ملحوظاً بحكم المنافسة بين الأمراء والحكام، فإن شمس الاجتهاد قد احتجبت)<sup>(٣)</sup>. هذا وقد امتاز هذا العصر بكثرة العلماء خاصة في مصر والشام، فقد كانت القاهرة ودمشق تعج بالعلماء من مختلف العلوم، وهم الذين عاصروا ابن كثير وشاركوا في النهضة العلمية في هذا القرن.

(١) الفتح المبين: محمد عبد الله الماعى ٩٩/٢. نشر. محمد أمين دمج، تصوير: بيروت د ١٩٧٤م. ابن كثير الدمشقي (ص ٢١).

(٢) عصر المماليك: ج ٣/٩٥، محمد رزق سليم. مكتبة الآداب. القاهرة ١٩٧٤م.

(٣) الفتح المبين ٢ - ٩٩.

## الفصل الأول

### منهج ابن كثير في التفسير

قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة (عمدة التفسير) مجملاً منهج ابن كثير في تفسيره: (وقد حرص الحافظ ابن كثير على أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً، ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ثم بالسنة الصحيحة، التي هي بيان لكتاب الله، ثم يذكر كثيراً من أقوال السلف في تفسير الآية، وإنه ليزكر الأحاديث في أكثر من موضع بأسانيدها من دواوين السنة ومصادرها، وكثيراً ما يذكر تعليل الضعيف منها، ولكنه يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح، وإن ذكر معها الضعاف، فكتابه بجانب أنه تفسير للقرآن، معلم مرشد لطالب الحديث، يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون، وكيف يميز الصحيح من غيره، فهو كتاب في هذا المعنى تعليمي عظيم، ونفعه جليل كثير). تفسير ابن كثير من أشهر الكتب التي دونت في التفسير بالمأثور، وهو من أجلها جمع فيه مؤلفه بين التفسير والتأويل والرواية والدراية، مع العناية الكاملة بذكر الأسانيد، وبيان صحيحها، من ضعيفها، من موضوعها، ونقد الرجال، والجرح والتعديل، واستيفاء الآيات في الموضع الأول، وتفسير القرآن بالقرآن، مع حسن البيان، وعدم التعقيد، وعدم التشعب في المسائل، والاستطراد الكثير، قدم ابن كثير لتفسيره هذا مقدمة طويلة هامة. تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره. ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمة أصول التفسير (١) ولقد تتبعت ابن كثير من خلال تفسيره فوجدته يمتاز بالمنهج التالي:

١. يذكر الآية. ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى ذكرها. وقارن بين الآيتين حتى يظهر المعنى المراد. ونذكر هنا نموذجاً يتبين من خلاله ما ذهبنا في قول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (٢). يقول العلامة ابن كثير في شرح هذه الآية: (يقول الله تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته. والتعاون والتناصر والإنفاق كما قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (٣). فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا. ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام. وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية في قوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (٤) فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى: (وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) نبدأ في هذه الآية بالخاتم

١ مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٢.

٢ سورة الأحزاب الآية: ٧.

٣ سورة آل عمران آية: ٨١.

٤ سورة الشورى آية: ١٣.

لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم (١). وابن كثير شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يمسونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

٢. ثم بعد أن يفرغ الإمام ابن كثير من هذا كله يشرع في إيراد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية ويبين ما يحتج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء سلف الأمة رضي عنهم جميعاً. ففي تفسيره لقول البارئ عز وجل: (وَلَا تَقُولُ لِسَيِّءِ إِثْمِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذِكْرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا) (٢). يقول ابن كثير . رحمه الله تعالى . في بيان هاتين الآيتين (هذا إرشاد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما لم يكن، لو كان كيف يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة . وفي رواية تسعين امرأة. وفي رواية مائة امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقيل له . وفي رواية قال له الملك . قل إن شاء الله. فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحسن وكان دركاً لحاجته). وفي رواية (لقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعين) ٣ . وسبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف غداً أجيبكم فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً، وذكر ابن كثير الحديث بتمامه في تفسيره أول هذه الصورة الكريمة (٤). وأنظر إلى تفسيره إلى قول الحق جل شأنه: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) (٥). يقول العلامة ابن كثير . رحمه الله تعالى . في بيان هذه الآيات الكريمات (ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه، وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرائيلي عليه السلام)، وجاء في الحديث (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له) فقالوا يا رسول الله كيف نقول؟ فقال (قولوا سبحان الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا) وقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً. قيل إنه زرق العيون من شدة ما هيم فيه من الأهوال (يتخافتون بينهم) قال ابن عباس: يتشاورون بينهم أي يقول بعضهم لبعض ألبتتم إلا عشراً أي في الدار الدنيا. لقد كان لبتتم فيها قليلاً عشرة أيام أو نحوها. قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي في حال تتاجيهم بينهم (إذ يقول أمثالهم طريقة) أي العاقل الكامل فيهم) أن لبتتم إلا يوماً).

١ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٠١.

٢ سورة الكهف آية: ٢٣-٢٤.

٣ صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٧، وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٩.

٤ أنظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٤، وأنظر ج ٣ ص ٧٠، وأنظر إيراده لأقوال الصحابة في تفسير بعض الآيات ج ٣ ص ١٢٩.

٥ سورة طه الآيات: ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١.



أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد، ولهذا يستقر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة، وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١)). وقال تعالى: (وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٢)). وقال تعالى: (كم لبثتم في الأرض عدد سنين، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فأسأل العادين، قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون (٣)). أي إنما كان لبثكم فيها قليلاً لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني، ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي (٤).

٣. نلاحظ أن ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض، ويضعف بعض الروايات ويصحح بعضاً آخر منها، ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضاً آخر (٥). وهذا يرجع إلى ما كان يتمتع به ابن كثير من معرفة تامة بالحديث وعلم الجرح والتعديل.

٤. من المصادر التي اعتمد عليها ابن كثير في تفسيره وأكثر من النقل منها تفسير ابن جرير وأبن أبي حاتم الرازي وتفسير ابن عطية وعبد الرازق الصفاني وغيرهم من تقدمه كقتادة (٦) وإبراهيم والنخعي ومجاهد وزيد بن أسلم وغيرهم.

١ سورة الروم الآيات: ٥٥، ٥٦.

٢ سورة فاطر الآية: ٣٧.

٣ سورة المؤمنون الآيات: ١١٤، ١١٣، ١١٢.

٤ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٤٤.

٥ راجع تفسير ابن كثير في قول الله تعالى (وبيئات من الهدى والفرقان) الآية ١٨٥ من سورة البقرة ج ١ ص ٢١٦، فقد ضعف أبا نجيع بن عبد الرحمن المدني الذي يروي عنه أبو حاتم في تفسير الآية المذكورة وكذلك أنظر إليه في تفسيره لقول الله جل شأنه: (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض....) الآية ٢٥١ سورة البقرة، فقد ضعف يحيى بن سعيد عند الآية المذكورة ج ١ ص ٣٠٣.

٦ قتادة بن دعامة السدوسي كان يكنى بأبي الخطاب، وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث وكان يقول بشيء من القدر، توفي سنة ١١٨ هـ، الطبقات الكبرى، أبو عبد محمد بن سعد، ٢٢/٧.

## الفصل الثاني

### موقفه من الإسرائيليات

من خصائص تفسير ابن كثير أنه يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات والموضوعات في التفسير. تارة يذكرها، ويعقب عليها بأنها: دخيلة على الرواية الإسلامية ويبين أنها من الإسرائيليات الباطلة المكذوبة، وتارة لا يذكرها بل يشير إليها، ويبين رأيه فيها، وقد تأثر في هذا بشيخه الإمام ابن تيمية<sup>١</sup>. وزاد ما ذكره كثيراً، وكل من جاء بعد ابن كثير من المفسرين ممن تنبه للإسرائيليات والموضوعات وحذر منها، هم عائلة عليه في هذا، ومدينون له فيها بهذا الفضل: كالإمام الألويسي، والأستاذ الإمام محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا رحمهم الله تعالى.

وللإمام ابن كثير حاسية دقيقة، وملمحة راسخة في نقد المرويات، والتنبيه إلى منشأها ومصدرها، وكيف تدست إلى الرواية الإسلامية، وقد تعقب ابن كثير الإمام ابن جرير . على جلالته وتقدمه . في بعض الإسرائيليات والموضوعات التي أوردها ابن جرير في تفسيره، ولا عجب في هذا: فهو من مدرسة عرفت بحفظ الحديث، والعلم به رواية، ودراية، وأصالة النقد، والجمع بين المعقول والمنقول ، وهي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه: ابن القيم والذهبي وأمثالهم ، فجزاه الله تعالى على صنيعه هذا خير الجزاء

## الفصل الثالث

### نسبة الشرك إلى آدم وحواء

من الروايات التي لا تصح، ومرددها إلى الإسرائيليات: ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قول الحق جل شأنه: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) (٢). (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْهُ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَنْ لِنُؤْتِيَنَّهَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)). وهذه الآية تعتبر من أشكال آيات القرآن الكريم، لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم وحواء، وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين: من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم . عليه السلام . ويقوله: (وخلق منها زوجها) حواء . رضي الله عنهما . وقد أول العلماء المحققون الآية تأويلاً يتفق وعصمة الأنبياء في عدم جواز إسناد الشرك إليهم . عليه الصلاة والسلام.

١ وليس أدل على هذا من أن ما ذكره في مقدمة تفسيره يكاد يكون نص ما ذكره شيخه في مقدمة أصول التفسير وتظهر روحه وبخاصة في المسائل التي يكون فيها

لشيخه ابن تيمية رأي معروف مخالف فيه لغيره.

٢ ليجد فيها سكن النفس وطمانينة القلب.

٣ سورة الأعراف الآية ١٨٩ ، ١٩٠ .

### الفصل الرابع

#### الحديث المرفوع والآثار الواردة في هذا

ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع وآثار موقوفة على الصحابة وبعضها مرسل عن التابعين، وقد اغتر بهذه الآيات كثير من المفسرين، كابن جرير الطبري (١)، والثعلبي والبغوي (٢)، والقرطبي (٣)، وإن كان ضعف الروايات، ولم تترك نفسه إليها واعتبرها من الإسرائيلية. والسيوطي في الدر المنثور (٤). والعجيب أن إماماً كبيراً له في رد الموضوعات والإسرائيليات فضل غير منكور، ومفسر متأخر وهو: الإمام الألويسي قد انخدع بهذه المرويات، فقال: (وهذه الآية عندي من المشكلات، وللعلماء فيها كلام طويل، ونزاع عريض، وما ذكرناه هو الذي يشير إليه الجبائي، وهو مما لا بأس به بعد إغضاء العين عن مخالفته للمرويات. ثم قال: (وقد يقال أخرج ابن جرير عن الحبر أن الآية نزلت في تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد الحارث، ومثل ذلك لا يكاد يقال من قبل الرأي، وهو ظاهر في كون الخبر تفسيراً للآية ... وأنت قد علمت أنه إذا صح الحديث فهو مذهبي، وأراه قد صح، ولذلك أحجم كميته قلمي عن الجر، في ميدان التأويل، كما جرى غيره والله تعالى الموفق للصواب. (٥) وبعض المفسرين أعرض عن ذكر هذه المرويات، وذلك كما صنع صاحب الكشاف، وتابعه النسفي. وبعض المفسرين أعرض لها، ثم عدم ارتضائه لها، وذلك كما صنع الإمام القرطبي في تفسيره: فقال: (ونحو هذا مذكور في ضعيف الحديث وفي الترمذي وغيره، وفي الإسرائيلية كثيراً ليس لها إثبات، فلا يعلو عليها من له قلب، فإن آدم وحواء، وإن غرهما بالله الغرور، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، على أنه قد سطر وكتب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خدعها مرتين، خدعها في الجنة وخدعها في الأرض) (٦).

#### رأي ابن كثير في معنى الآية:

نقد الإمام ابن كثير هذه المرويات نقداً علمياً أصيلاً يقوم على مناهج المحدثين وطريقتهم في النقد، وبين أصل هذه المرويات، وإن مردها إلى الإسرائيلية وسأذكر كلام الإمام ابن كثير باختصار لا يخل به لنفاسته وشدّة الحاجة إليه في هذا المقام، قال رحمه الله تعالى ورفع درجته في الفردوس الأعلى: (يذكر المفسرون ههنا آثار وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله. وبه الثقة). قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد (قال) ٧ حدثنا عمر بن إبراهيم، (قال): حدثنا قتادة: عن الحسن، عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: (ولما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيها لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فإنه يعيها، فسمته عبد الحارث،

١ تفسير ابن جرير عند تفسير هذه الآية.

٢ تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦١٢، ٦١١.

٣ تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٣٨، ٣٣٩.

٤ الدر المنثور عند تفسير هذه الآية.

٥ تفسير الألويسي ج ٩ ص ١٣٩-١٤٢.

٦ تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٣٨.

٧ جرت عادة المحدثين أن يحذفوا من الأسانيد لفظ (قال) خطأ، ولكنهم ينطقون بها عند الرواية وقد ذكرتها خطأ حتى لا يشكل الأمر على قارئ السند.

فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأرمه) وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به<sup>١</sup> ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية ، عن محمد بن المثنى ، عبد الصمد ، به ، وقال: هذا حديث حسن غريب . يعني انفرد به راويه . لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه ، يعني : لم ينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ورواه الحاكم في مستدرکه، من حديث عبد الصمد مرفوعاً، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد<sup>٢</sup> ، ولم يخرجاه، ورواه الإمام أبو محمد، ابن أبي حاتم، في تفسيره، عن أبي زرعة الرازي، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم به . أي : ببقية السند . مرفوعاً وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردودية ، في تفسيره ، من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً. قلت: أي ابن كثير . وشاذ هو: هلال، وشاذ لقبه.

والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر ابن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه بن معين وقال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردودية من حديث المعتمر، عن أبيه عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً والله أعلم. الثاني: أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: ويساق ابن كثير سند ابن جرير إلى سمرة بن جندب، قال: (سمي آدم ابنه عبد الحارث).

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عند سمرة مرفوعاً لما عدل عنه، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع وساق سنده . عن الحسن: (جعل له شركاء فيما آتاهما) قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. وحدثنا<sup>٣</sup> محمد بن عبد الأعلى: (قال): حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال: قال الحسن: عني بها ذرية آدم ، ومن أشراط منهم بعده ، يعني: "جعل له شركاء فيما آتاهما" وحدثنا<sup>٤</sup> بشر (قال): حدثنا يزيد ، (قال): حدثنا سعيد عن قتادة ، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً ، فهودوا ونصروا<sup>٥</sup>، قال بالإمام ابن كثير: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن . رضي الله عنه . أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لما عدل عنه هو ، ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه لله وورعه . فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل: أنه تلقها من بعض أهل الكتاب: من آمن منهم مثل كعب، أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم<sup>(٦)</sup> . فأما الآثار: فقال محمد بن اسحق بن يسار، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: (كانت

١ يعني ببقية السند المذكور .

٢ من المعروف بعن المحدثين أن الحاكم متساهل في التصحيح، فلا يؤخذ بقوله ولا سيما في مثل هذا.

٣ القائل: وحدثنا هو بن جرير . رحمه الله تعالى .

٤ القائل: وحدثنا هو بن جرير . رحمه الله تعالى .

٥ فيه إشارة إلى قوله . صلى الله عليه وسلم . "ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه" رواه البخاري ومسلم عن الحسن . رضي الله عنه . ليس اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تقارير في اللفظ، والمطلوب واحد أو مقارب. ذكر ذلك أستاذنا د. محمد أبو شهية في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب

التفسير ص ٢١٢.

٦ تفسير ابن كثير والبيهقي ج ٣ ص ٦١١-٦١٢.

حواء تلد لأدم أولاداً فيعبدهم الله ويسميهم عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس، فقال: إنكما لو سميتاهم بغير الذي تسميانه به لعاش، قال فولدت له رجلاً، فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة....) إلخ، وقال العوف عن ابن العباس: قوله في آدم: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله (فمرت به) شكت أحملت أم لا؟ "فلما ثقلت دعوا الله ربهما).. الآية فأتاهما الشيطان، فقال هل تدرين ما يولد لكما؟ أم هل تدرين ما يكون: أبهيم أم لا؟ وزين لهما الباطل، أنه قوي مبین، فقد كانت قبل ذلك ولدت ولدین، فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما لم تسمياه بي، لم يخرج سوياً، ومات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله: (فلما أتاهما صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاهما... الآية). وقال عبد الله بن المبارك، عن شريك، عن خصيف، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى: (فلما أتاهما صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاهما) قال الله تعالى: (فلما تغشاهما): آدم (حملت) آتاهما إبليس. لعنه الله. فقال: أني صاحبكما الذي أخرجتكما، لتطغيان، أو لأجلن له قرني أيل (١)، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن، يخوفهما، فسمياه (٢). عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت، يعني الثانية فأتاهما، فقال لهما مثل الأول، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت الثالثة، فأتاهما أيضاً فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: (جعلاً له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد، وسعيد بن جبیر، وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة، والسدي، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين المتأخرين: جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه. والله أعلم. مأخوذ من أهل الكتاب. فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم في سنده عن ابن عباس عن أبي بن كعب (٣). قال: لما حملت حواء آتاهما الشيطان، فقال لها: أتطيعيني ويسلم لك ولدك؟ سمي عبد الحارث، فلم تفعل، فولدت فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها فقال: أن تطيعيني يسلم، وإلا فإنه يكون بهيمة، فهبيهما فأطاعا.

قال ابن كثير: وهذه الآثار يظهر عليها. والله أعلم. أنها من آثار أهل الكتاب... وبعد أن بين أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

- ١- فمنها ما علمنا صحته مما بأيدينا من الكتاب أو السنة.
- ٢- ومنها: ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً.
- ٣- ومنها ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته بقوله. عليه الصلاة والسلام: (حدثوا عني بني إسرائيل ولا حرج) وهو الذي لا يصدق، ولا يكذب.

١ الأيل. بضم الهمزة وكسرهما، والياء فيها مشددة مفتوحة ذكر الأوعال وهو التيس الجبلي، أنظر المصباح المنير ص ١٣.

٢ بصيغة الأمر.

٣ وعلى هذا فالحديث موقوف لابن عباس صحابي ورواه عن مثله من الصحابة وهو أبي رضي الله عنه وأبي رضي الله عنه كان من شيوخ ابن عباس ولعله سمعه من بعض مسلمة أهل الكتاب.

قال: وهذا الأثر من الثاني أو الثالث فيه نظر<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير: فأما من حدث به: من صحابي أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث. يعني ما يحتمل الصدق، والكذب. . وأما نحن: فعلى مذهب الحسن البصري في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق: آدم، حواء، وأن المراد من ذلك: المشركون من ذريته، ولهذا قال الله تعالى: (فتعالى الله عما يشركون) فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدها من الوالدين وهو كالأستطراد من الشخص إلى الجنس<sup>(٢)</sup>. وهذا الذي ذهب إليه ابن كثير في تخريج الحديث والآثار هو الذي يجب أن يصار إليه، وهو الذي ندين الله عليه، ولا سيما أن التفسير الحق للآيتين لا يتوقف على شيء مما روى.

### الفصل الخامس

#### أثر الفقه في منهج ابن كثير

إن الناظر إلى تفسير ابن كثير يجده يدخل في المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام، فانظر إليه عند تفسيره لقول الله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)<sup>(٣)</sup> من أيام أخر<sup>(٤)</sup>، والآية في أنه يذكر أربعة مسائل تتعلق بهذه الآية، وذكر أقوال العلماء فيها وأدلتهم على ما ذهبوا إليه. وأنظر إليه في تفسيره لقول الله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)<sup>(٥)</sup>، فإنه قد تعرض لما يشترط في نكاح الزوج المحلل. وذكر أقوالهم وأدلتهم<sup>(٦)</sup>، وأنظر إليه في تفسيره لقول الله تعالى: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(٧)</sup>، فقد أورد آراء العلماء في حكم زواج الثانية المجلودة فذكر رأي ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الموضوع، وذكر رأياً آخر لطائفة من أهل العلم. يقول بنسخ الآية<sup>(٨)</sup>. وأنظر إلى تفسيره إلى قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)<sup>(٩)</sup> فذكر اختلاف الأئمة في حكم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجح بعد إيراد آراء الأئمة ما ذهب إليه الشافعي وهو القول بوجوب الصلاة على رسول الله

١ هكذا ورد في تفسير ابن كثير وقوله (وفيه نظر) أي في كونه من القسم الثالث، والذي أقطع به . والله أعلم . أنه من الثاني لقيام الأدلة العقلية والنقلية على عصمة

الأنبياء. ورجح هذا المعنى العلامة ابن حزم، أنظر الفصل ج ٤ ص ٥.

٢ تفسير ابن كثير والبيهقي ج ٣ ص ٦١٤، ٦١٣، ط المنار.

٣ سورة البقرة آية: ١٨٥.

٤ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١٧، ٢١٦.

٥ سورة البقرة آية: ٢٣٠.

٦ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٩، ٢٧٧.

٧ سورة النور آية: ٣.

٨ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٨، ٢٢٧.

٩ سورة الأحزاب آية ٥٦.

صلى الله عليه وسلم في الصلاة (١). ومع تعرض الإمام ابن كثير لآراء الفقهاء ومناقشتها وعرض أدلتهم إلا أنه يعتبر مقتصد لا يسرف كما أسرف غيره من المفسرين.

### الفصل السادس

#### تفسيره للقرآن باللغة

كان الإمام ابن كثير مهتماً بتفسير القرآن بقواعد اللغة العربية، واشتقاقاتها ودلالاتها، ويورد على هذا الشواهد الشعرية ويحللها، ويرجع إلى أقوال علماء اللغة كالفراء والكسائي والمبرد، من ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٢) وقف وقفة لغوية في معنى الصلاة واشتقاقها فقال: (وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء، قال الأعشى:

لها حارس لا يبرح الدهر بيثها وإن ذبحت صلى عليها وزمما  
وقال أيضا:

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم  
أنشدهما ابن جرير مستشهداً على ذلك.  
وقال الآخر، وهو الأعشى أيضا:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا  
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

يقول: عليك من الدعاء مثل الذي دعيته لي، وهذا ظاهر. ثم استعملت الصلاة في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة، في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة، قال ابن جرير: وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي يتعرض لاستتجاح طلبته من ثواب الله بعلمه مع ما يسأل ربه من حاجاته وسؤله. وقيل: هي مشتقة من الصلوان إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتفان عجب الذنب، ومنه سمي المصلي وهو التالي للسابق في حلبة الخيل، وفيه نظر. وقيل: هي مشتقة من الصلى، وهو الملازمة للشيء من قوله تعالى: (لا يصلاحها) أي: لا يلزمها ويدوم فيها (لا يصلاحها إلا الأثقى) (٣) وقيل: مشتقة من تصلية الخشبة في النار لتقوم كما أن المصلي يقوم عوجه بالصلاة، (وأقيم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) (٤).

١ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٢-٤٣٣.

٢ سورة البقرة آية ٣

٣ سورة الليل آية ١٥

٤ سورة العنكبوت الآية ٤٥

### الفصل السابع

#### مناقشاته الفقهية

نلاحظ على تفسير ابن كثير أن مؤلفه يدخل في المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء ويخوض في مذاهبهم وأدلتهم كلما تكلم عن آية لها تعلق بالأحكام، ولكنه مع هذا مقتصد مقل لا يسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين. من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) (١) قال: (هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها. وقد اختلفوا في النكاح: هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية، فإنه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى: (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها. وقوله تعالى: (المؤمنات) خرج مخرج الغالب إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق، وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لأن الله تعالى قال: (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى. وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، فعندهما متى تزوجها طلقت منه، واختلفا فيما إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فقال مالك: لا تطلق حتى يعين المرأة، وقال أبو حنيفة رحمه الله: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية). وبالجملة فإن هذا التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور، وقد شهد له بعض العلماء فقال السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ، والزرقاني في شرح المواهب: إنه لم يُؤلف على نمطه مثله.



### الفصل الثامن

#### مقاييس ابن كثير في نقد المتن

راجع ابن كثير متون المرويات والأقوال في موضوع السيرة آخذاً بعين الاعتبار الخطوات التي كان العلماء يقومون بها وهم ينقدون النصوص والمرويات. ومن هذه القواعد عرض المتن على القرآن الكريم ثم على السنة المتواترة ثم على الإجماع ثم على العقل (١). إن ممارسة هذا الفن وقراءة النصوص واستظهارها عوامل مكنت العلماء الراسخين من رد روايات وأحاديث بالنظر إلى المروي وألفاظ الحديث، قال ابن دقيق العيد (ت ٢٠٧هـ): (وأهل الحديث كثيراً ما يحكمون بذلك أي بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروي وألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم، وحاصله يرجع إلى أنه حصلت لهم لكثرة محاولة ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم هيئة نفسية أو ملكة يعرفون بها ما يجوز من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز أن يكون من ألفاظه (٢) ، ويعد ابن القيم (وهو ممن نهل من المدرسة نفسها التي نهل منها ابن كثير) من أوائل العلماء الذين أصلوا بعض القواعد التي يمكن بواسطتها نقد متن الحديث. (٣).

### الفصل التاسع

#### أهم مميزات تفسير ابن كثير

١. من أهم المراجع لدراسة الأسانيد، لكونه اعتنى بدراسة الأسانيد، واعتنى بالنقل عن الثقات، وهو لا يأخذ عن الضعفاء كمقاتل والكلبي.
٢. يعد من الكتب التي اعتنت بتفسير القرآن بالقرآن.
٣. قوي في الترجيح المبني على الدليل.
٤. سلامة عقيدته في غالب تفسيره.
٥. من أهم المصادر لنقد الإسرائيليات.
٦. ذكر روايات الأحاديث مع أسانيدها، والحكم على الراوي في أغلب الأحيان.
٧. التفسير بالسنة النبوية المطهرة أو نقل أقوال الصحابة الكرام والتابعين إذا لم يجد ما يفسره بالقرآن.
٨. سهولة عباراته وجزالتها، وتناولها بأسلوب مختصر.
٩. ذكر الآيات المتشابهة والقراءات وأسباب النزول، وتفسير القرآن بالقرآن حتى يتضح المراد.

١ الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص ١٧٠، عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص ٤٧-٤٩.

٢ الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق عامر حسن صبري، بيروت: دار البشائر، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٢٢٨.

٣ المنقول والمحك المميز بين المرود والمقبول، تحقيق: حسن سماحي سويدان، بيروت، دار القادري، ط ١، ١٤١١هـ، وهذا الكتاب لابن القيم هو المشهور بالمنار المنيف في الصحيح والضعيف، بكر أبو زيد: ابن القيم حياته وأثاره، الرياض، مكتبة المعارف، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص ١٩٤.

١٠. جعل من الحق والصواب طريقاً له في آيات الصفات. (١)

أهم العيوب:

١/ عدم التعرض للقراءات إلا فيما ندر.

٢/ قلة البحوث اللغوية، والشواهد الشعرية، والاستنباطات البلاغية.

وبعد . فإن تفسير ابن كثير من خير كتب التفسير بالمأثور، وقد شهد له كثير من أهل العلم بعلوم مقامه وعظمة تفسيره، وأنه يتفوق على كثير من كتب التفسير، يقول الإمام السيوطي . رحمه الله تعالى: في ذيل تذكرة الحافظ والزرقاني في شرح أنه لم يؤلف على نمطه مثله (٢). وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات . فرحم الله تعالى ابن كثير وأحسن إليه.

### خاتمة البحث

لا شك أن تفسير ابن كثير كما تعرضنا له يمثل إحدى نوافذ التراث الإسلامي الأغنى بين الحضارات، ولئن كان يمثل في زمانه إحدى شعلات العلم التي يوجد لها نظائر في عصرها، فهو في عصرنا الحالي أصبح شعلة لا بد منها لتفريده في مجاله، وهذا المجال الشريف . مجال تفسير القرآن العظيم . لا شك أنه أخطر المجالات التي تعنى الأمة الإسلامية اليوم، لأننا أمة القرآن في الأصل وبغيره لا مجال لانفتاحنا على حضارتنا وتراثنا ومن قبل هذا ديننا وهذا التواصل لا بد منه، فالعلم . أي علم . عبارة عن بناء رأسي لا بد لكل من أتى أن يبدأ من حيث انتهى سابقه وإلا كان معنى العلم معنا عبثياً، وطائفة المفسرين للقرآن الكريم أو الراغبين في سلوك هذا الدرب يكون عليهم وجوباً إن أحبوا الوصول لنقطة انطلاق حقيقية في هذا المجال أن يلتمسوا ما قاله وتركه لنا العلماء السابقون ومطالعة جهودهم التي لم يبخلوا بها وتركوها كنزاً أتى على طبق من فضة للمعرفة والرواية والدراية والتدريب، وذلك حتى يتمكن جيل اليوم من المضي قدماً في استكناه أسرار القرآن الكريم التي وعد رسول الله صلي الله عليه وسلم أنها أسرار لا تنتهي إلى قيام الساعة ووصف القرآن الكريم بأنه لا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد

ومطالعة تفسير ابن كثير بالذات لدارس وباحث التفسير تمثل فرضاً عينياً عليه، لما يمثله هذا التفسير من قيمة علمية تتمثل في اتباعه أكثر وجوه التفسير دقة وأماناً واتباعاً للسلف الذين نزل فيهم القرآن الكريم ، كما يمثل تفسير ابن كثير طريقاً مأموناً لمقصود الشارع العزيز حيث وفر الجهد في النقد على أجيال كثيرة أتت بعده لليوم لكي تدع الإسرائيليات جانباً بعد أن بطلت إليها حاجة العصر ففي ظل عطاءات جاء الكثير منها على يد العلماء المعاصرين، لا سيما ففي شق الآيات الكونية التي تكشف عن بديع معناها كل يوم ونسأل الله أن ينفعنا بما علمنا

١ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (الطبعة الأولى) (٢٠٠٠)، القاهرة: الفاروق، صفحة ٩-١٠-١١-١٧

٢ المنقول والملك المميز بين المردود والمقبول، تحقيق: حسن سماحي سويدان، بيروت، دار القادري مرجع سابق ج ٣ ص ٤٣٢-٤٣٣.

المصادر والمراجع:

١. أبناء الغمر بأبناء العمر. لابن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٦٩م. وجاء في مصادر أخرى (زرع).
٢. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.
٣. الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق عامر حسن صبري، بيروت: دار البشائر، ط١، ١٤١٧هـ.
٤. البداية والنهاية لابن كثير.
٥. تفسير البغوي.
٦. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ج ١ (ص ٢٤٢) دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦١م
٧. الدرر الكامنة.
٨. السلطين المماليك. مكتبة الآداب القاهرة ١٩٧٤م. مقدمة تهذيب الكامل للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف.
٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي ت: ١٠٨٩هـ طبعة القدس/ القاهرة ١٣٥٠هـ.
١٠. صحيح البخاري.
١١. صحيح مسلم.
١٢. طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين بن قاضي شبهة الدمشقي، ت: ٨٥١هـ د. تصحيح د. عبد العظيم خان، نشر مؤسسة دار الندوة، بيروت ١٩٩٨م.
١٣. الطبقات الكبرى، أبو عبد محمد بن سعد.
١٤. طبقات المفسرين. محمد علي الداودي ت: ٩٤٥هـ. محمد علي عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ١٩٧٢م.
١٥. عصر المماليك: ج ٣/٩٥، محمد رزق سليم. مكتبة الآداب. القاهرة ١٩٧٤م.
١٦. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (الطبعة الأولى) (٢٠٠٠)، القاهرة: الفاروق.
١٧. عمدة التفاسير.
١٨. الفتح المبين: محمد عبد الله الماغي. نشر. محمد أمين دمج، تصوير: بيروت ١٩٧٤م. ابن كثير الدمشقي.
١٩. الكفاية في علم الرواية، عثمان موافي.
٢٠. المصباح المنبر.
٢١. مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٢. مقدمة تهذيب الكامل للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف.
٢٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، بكر أبو زيد: ابن القيم حياته وآثاره، الرياض، مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٢٤. المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول، تحقيق: حسن سماحي سويدان، بيروت، دار القادري، ط١، ١٤١١هـ.
٢٥. منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الإسكندرية، ١٩٨٤م.